

العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والفن: نحو شراكة جديدة بين الإنسان والآلة

م. د آمال نوري عبود

وزارة التربية - الكلية التربوية المفتوحة - مركز الرصافة الدراسي / بغداد

amaal.noori2023@gmail.com

شهدت العقود الأخيرة تحولاً عميقاً في طبيعة العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا، خاصة مع تصاعد قدرات الذكاء الاصطناعي وتوغلها في مجالات لم تكن تُعد سابقاً من اختصاص الآلات، مثل الإبداع الفني، والتعبير البصري، وتأليف الموسيقى، بل وحتى كتابة الشعر.

لقد أصبح الذكاء الاصطناعي اليوم أكثر من مجرد أداة تحليلية أو آلة حسابية، بل دخل في صلب العملية الإبداعية، مما يدفع إلى إعادة النظر في مفاهيم أساسية مثل الإبداع، الأصالة، الفاعلية، والملكية الفكرية.

إن دراسة العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والفن لا تتطرق فقط من تتبع التطبيقات التكنولوجية الحديثة، بل تتطلب تحليلاً فلسفياً وجماليّاً وثقافياً أعمق لفهم ما يعنيه أن تنتج "آلة" عملاً فنياً، وما يترتب على ذلك من تبعات على دور الفنان والعملية الإبداعية نفسها.

منذ بدايات الحوسبة، حاول الفنانون استخدام التكنولوجيا كوسيط جديد للتعبير، لكن الفارق الجوهرى بين الفن الرقمي التقليدي والفن المدعوم بالذكاء الاصطناعي يكمن في أن الثاني لا يقتصر على توفير أدوات

للفنان، بل يشارك في صنع القرار الفني ذاته، بل قد يتولّى عملية التوليد بالكامل.

من أبرز التطبيقات التقنية في هذا السياق ما يُعرف بالشبكات التنافسية التوليدية (Generative Adversarial Networks - GANs) ، وهي خوارزميات قادرة على خلق صور جديدة تشبه الصور البشرية من حيث التكوين والدقة. وقد وُصف هذا النوع من الذكاء الاصطناعي بأنه قادر على "التعلم" من ملايين الأعمال الفنية، ثم توليد أخرى لم يرها أحد من قبل، مما يُظهر بعدًا إبداعيًا قد يُظن في ظاهره ذاتيًا.¹

إحدى أبرز التجارب التي أثارت الجدل في هذا المجال كانت في عام ٢٠١٨ عندما بيعت لوحة مرسومة بالذكاء الاصطناعي تُدعى Portrait of Edmond de Belamy في مزاد كريستيز العالمي بمبلغ تجاوز ٤٠٠ ألف دولار أمريكي. أثارت هذه الحادثة نقاشًا واسعًا حول مفهوم الإبداع الفني، حيث تساءل البعض: من هو الفنان الحقيقي؟ هل هو المبرمج الذي كتب الخوارزمية؟ أم الخوارزمية نفسها؟ أم قاعدة البيانات التي تم التدريب عليها؟ أم المؤسسة التي صممت التجربة الفنية ككل؟²

العديد من الباحثين يذهبون إلى أن الإبداع الذي يُنتجه الذكاء الاصطناعي هو إبداع "مُستعار" يعتمد على تمثيلات واحتمالات ناتجة عن تحليل بيانات سابقة، وبالتالي يفتقر إلى البُعد الشعوري أو الوعي الذاتي الذي يُميّز الإبداع البشري.

تري الباحثة Joanna Zylinka ، في كتابها AI Art: Machine Visions and Warped Dreams ، أن ما نعتبره اليوم فنًا ينتجه الذكاء الاصطناعي هو في الواقع نتيجة لعلاقة معقدة بين الإنسان والآلة، ويجب أن يُفهم ضمن هذا السياق التفاعلي، لا كمصدر مستقل للإبداع.³

رغم هذه التحفظات، لا يمكن إنكار أن الذكاء الاصطناعي قد أصبح أداة قوية في يد الفنان المعاصر. إذ يمكنه توليد صور بسرعة خارقة، اقتراح تشكلات جديدة، تحليل الأنماط الفنية، ومساعدة الفنان في اكتشاف إمكانات غير متوقعة. تشير دراسة لـ Cetinić و She إلى أن الذكاء الاصطناعي يُستخدم اليوم في تيارين رئيسيين داخل الممارسات الفنية: أولهما تحليل الأعمال الفنية (كالتصنيف والتأريخ واكتشاف الأنماط)، وثانيهما توليد أعمال جديدة عبر نماذج الخوارزميات التوليدية.⁴

في المقابل، هناك مخاوف تتعلق بتأثير الذكاء الاصطناعي على جوهر العمل الفني؛ إذ يُخشى أن يؤدي الاستخدام المتزايد للنماذج التوليدية إلى نوع من "التجانس البصري"، حيث تُستنسخ أنماط فنية بناءً على بيانات سابقة، دون إضافة حقيقية أو كسر للقالب. في هذا السياق، خلصت دراسة لـ Yilin Ye وآخرين إلى أن الفن الناتج عن الذكاء الاصطناعي لا يُظهر تنوعًا واسعًا في "الفضاء الكامن" عند مقارنته بأعمال البشر، مما يشير إلى ميل للتكرار والمحاكاة أكثر من الابتكار الأصيل.⁵

من الناحية القانونية، يثير الفن الناتج عن الذكاء الاصطناعي قضايا معقدة تتعلق بحقوق الملكية الفكرية. من يمتلك العمل؟ هل هو الشخص الذي أدخل النص في نموذج توليدي مثل DALL-E ؟

أم المطور الذي صمم النموذج؟ أم الشركة التي درّبت النموذج على بيانات ربما تكون محمية بحقوق ملكية؟ في تقرير أصدره مكتب حقوق الملكية الفكرية الأمريكي عام ٢٠٢٢، وُضع شرط وجود "عنصر بشري" في العمل الإبداعي كي يُمنح الحماية القانونية، ما يعني استبعاد الأعمال المنتجة بشكل آلي بالكامل.⁶

مع ذلك، فإن مستقبل العلاقة بين الفن والذكاء الاصطناعي لا يبدو تنافسيًا، بل تكامليًا. ففي العديد من المشاريع الفنية المعاصرة، يعمل الفنانون جنبًا إلى جنب مع أدوات الذكاء الاصطناعي ليس بهدف استبدال الإبداع البشري، بل توسيعه. يقترح الباحثان Mazzone و Elgammal في دراستهما أن الذكاء الاصطناعي لا يُمثل تهديدًا للفن، بل فرصة لإعادة تعريف العملية الإبداعية، عبر شراكة بين الفنان والنظام الذكي، تُمكن من خوض آفاق جديدة وغير متوقعة.⁷

من ناحية فلسفية، يمكن استحضار أفكار والتر بنيامين حول فقدان "الهالة" في العمل الفني عند إعادة إنتاجه تقنيًا، لفهم التحدي الذي يفرضه الذكاء الاصطناعي اليوم. فبينما كان بنيامين يرى في التكنولوجيا وسيلة لسحب الفن من قدسيته، فإن الذكاء الاصطناعي قد يدفع إلى إعادة طرح سؤال أكثر جذرية: هل لا يزال الفن بحاجة إلى ذات مبدعة ليُعد فنًا؟ وإن لم تكن هناك نية شعورية خلف العمل، فهل يفقد معناه الرمزي؟⁸

أما في المجال التعليمي، فقد بدأت أدوات الذكاء الاصطناعي تُستخدم في تدريس تاريخ الفن وتدريب الطلاب على أساليب بصرية متنوعة. يذكر Hutson أن استخدام نماذج AI في بيئات التعليم الفني يمكن أن يعزز الفهم النقدي ويحفّز على التجريب، بشرط أن يكون استخدامها مقروّنًا بنقاشات حول الهوية، والأخلاق، والدور البشري.

ختامًا، يمكن القول إن العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والفن ليست مجرد مسألة تكنولوجيا، بل هي أيضًا مسألة فلسفية وإنسانية. فهي تُعيد طرح أسئلة قديمة بصياغات جديدة: ما هو الفن؟ من هو الفنان؟ وما هو دور الجمهور؟ وبينما تثير هذه العلاقة مخاوف مشروعة، فإنها تفتح أيضًا

آفاقاً واعدة لتجديد العملية الفنية وإعادة تعريفها في زمن لم تعد فيه الحدود
بين الإنسان والآلة واضحة تمامًا.

1. Ian Goodfellow et al., "Generative Adversarial Networks," *Communications of the ACM* 63, no. 11 (2020): 139–144.
2. Sophie Haigney, "AI Art at Christie's Sells for \$432,500," *The New York Times*, October 25, 2018, <https://www.nytimes.com>.
3. Joanna Zylińska, *AI Art: Machine Visions and Warped Dreams* (London: Open Humanities Press, 2020), 67–71.
4. Eva Cetinić and James She, "Understanding and Creating Art with AI: Review and Outlook," *arXiv preprint* (2021), <https://arxiv.org/abs/2102.09109>.
5. Yilin Ye et al., "Everyone Can Be Picasso? A Computational Framework into the Myth of Human versus AI Painting," *arXiv preprint* (2023), <https://arxiv.org/abs/2304.08691>.
6. United States Copyright Office, "Copyright Registration Guidance: Works Containing Material Generated by Artificial Intelligence," March 2023, <https://copyright.gov>.
7. Marian Mazzone and Ahmed Elgammal, "Art, Creativity, and the Potential of Artificial Intelligence," *Arts* 8, no. 1 (2019): 26.
8. Walter Benjamin, "The Work of Art in the Age of Mechanical Re